

دمعة على شوقي

رحمك رب وحنانيك ! ما لهذه الشهقة الراجفة الواجفة
تصطرخ من قاصي اجواء السماء الى الصميم من اجواف الارض ؟
رب اني اتحسس خفق النعال وصفق الاكف وصريف الاسنان
ومكاء الشفاء وبكاء العيون فقيم هذه الوجبه والهبة وعلام هذا
الضجيج والعجيج والنشيج ؟

رب اني ارى في الاقلام رشقا وفي الصحف مشقا وفي المحابر
دقا وعلي الحياة حدادا وفي الشمس سوادا والكتاب حيارى
والشعراء سكارى . فماذا هو خطب العالم العربي من جديد ؟

أهبط من السماء هول على الارض أم طاف بالناس طائف
منك وبدؤوا يشعرون

أم مات شوقي ؟ فان يكن هذا خطبنا اليوم ويا شجيا !
فليجل الامر ويفدح الخطب وليلبس الاسلام حدادا ثانية حداده !
بالامس مات حافظ فثكله الشرق العربي وتقرحت له الاماق
واندملت الملاطم وبكته المعالم والمجاهل والحياة كلها وما عثم ان



احمد شوقي

ومن حسنات الاسقاء ان يترك الماء في الارض جزءاً من
المواد الذائبة فيه او المعلقة به ، الاولى تتحول بفضل تفاعلها الكيماوي
مع المواد الاخرى الموجودة بالتراب ، والثانية ترسب بفضل وزنها
الطبيعي وهذه المواد الذائبة في الماء او المعلقة به تختلف في جنسها
وتزيد كيميائها وتنقص بحسب اصل الماء والاراضي التي مر بها قبل
استعماله ومعنى هذا ان ماء السقي كثيرا ما يكون سمادا نافعا بما يتركه
في الارض من المواد الغذائية على ان لهذه الحسنة نقيضها ايضا ، لان
ماء السقي اذا كان خالياً من بعض المواد فهو ياخذها من التراب
الذي سقاه . ومن الفلاحين الذين لهم اراضي يزيد غناها عن حاجات
النبات من يبحث عن الماء الخالي من المواد المغذية فيستعمله
لتخفيض كمية تلك المواد من ارضه .

ومن حسنات الاسقاء تعديل حرارة الارض ، ففي اوان البرد
يكون الماء أشد حرارة من الارض فيعين النبات على نموه وبخلاف
ذلك في الصيف .

على أن فن الاسقاء يتطلب من القائم به عزمًا ونباهة ومعرفة
تامة بالعمل الذي يقدم عليه لان الاسقاء اذا اجري بغير معرفة كافية
تنقلب حسناته سيئات وتسبب عنه اضرار عظيمة تفقد التربة وتضر
النبات وربما تحل بالصحة العامة ومما يجب درسه باتقان قبل تعاطي
السقي في ارض معينة قابلية طبقتها العليا وطبقتها السفلى لنفوذ الماء
فاذا كانت تلك القابلية في احدى الطبقتين أو في كليتهما قليلة مكث
ماء السقي في الارض اكثر مما يجب وحدثت عن مكثه الاضرار
التي أشرنا اليها في صدر المقال ووجب على الفلاح ان يسفي من جهة
وأن ينشف من جهة اخرى والافسدت ارضه وصارت غير صالحة
للفلاحة وسقطت قيمتها عن قيمة الاراضي التي تجاورها ولم تسق
بالكلية فكم من الاراضي سقيت في بعض النواحي من الجزائر
وتحولت بالاسقاء الى امراج تهدد صحة سكان النواحي التي تجاورها
بما ينمو فيها من جيوش الناموس الناقل لحمى المستنقعات المخرطة .

عمر بن عبد الجليل (يتبع)



تكلف من عبراتها عليه لغة الضاد التي كانت فاجعتها به اكبر حتى
ءاض فانهار أشمخ ركن من اركان حضارتنا الادبية وتقوض اعلى
جانب من جوانب صرح ثروتنا الفكرية وسكت فجأة ذلك الصوت
المتهدج العميق المسامع الذي كنا من الحين الى الاخر نبده بدوى
انقراض وحيه السيار في صحاصح البسيط وله فيها مثل صدى
اصطكاك الصاعقة على الجلمود،

ذلك هو قعود الشعر الرصين المنبعث من زناد قريحة معجزة
البيان العربي احمد شوقي بك الذي قام على حكومة الشعر دولة
وحده فكان امة في فرد وما كان فردا في امة،

نعم ان شوقي كان امة وحده، فهذه حياته السياسية الادبية
تناولها فنجدها القطعة الكبرى من تاريخ الشرق بل العالم العربي
ونريد ان نلمس شخصيته بمفردها ولاكننا نضطر اضطرارا الى
ان نلمس معها وحدة الاسلام وما يتصل بها والخلافة وما انتهت
اليه والحرب التركية وما نتج عنها وتاج مصر ودولتها والشرق
وقضيته والفتح والجلاء والاستقلال والانتداب والحرب والسلام
والاقتصاد والمؤتمر وما اليها من حوادث البلاد العربية وشؤون
الاسلام. وعلى ضخامتها فهي فقط احدى مواطن عظمة شوقي ولا
عجب اذا تعددت له مواطن العظمة وكانت كلها ضخمة فهو الابن
البكر والوارث الحي لمجد مصر التي هي آخر دولة انحطت من
ممالك العرب واول دولة نهضت منها محتفظة للاخلاف بآثار الاسلاف
ومغذية عقول سواد العرب النازلين في أرجاء القارتين العظيمتين
اسيا وايفريقيا.

مرت نبوءة الشعر فترة طويلة امتدت منذ العصر العباسي
الذي كان يخلق في جو سمائه خيال ابي الطيب الى عصر الدولة
الطولونية بمصر، فالفاطمة فالايوبية فدولة الاتراك المماليك فدولة
الجراكسة فدولة الترك العثمانية وما نبغ فيها واحد من الناس
يملا فراغ مقعد الشعر الغربي بحق، حتى جاء محمود سامي البارودي
يحمل الى الناس علم الشعر، ويشر الجليل برسول للقريض ياتي
من بعد محمود اسمه (احمد) واذا بشوقي يهرول في اقباله الينا،
ويستنصت الناس ليؤدي رسالة الحكمة من الشعر الى شباب
الامس ورجال اليوم فيقول :

يا شباب الغد ابناي الفدى
لكم أكرم وأعزز بالفداء
هل يمد الله لي العيش عسى
ان أراكم في الفريق السعداء
وأرى تاجكم فوق السها
وأرى عرشكم فوق ذكاء
أمة للخلد ما تبني اذا
ما بنى الناس جميعاً للعفاء
تعصم الاجساد من عادى البلى
وتقي الأثار من عادى الفناء
ان أسأنا لكم او لم نسي
نحن هلكن فلكم طول البقاء
عصركم حي ومستقبلكم
في يمين الله خير الامناء
لا تقولوا حطنا الدهر فما
هو الا من خيل الشعراء
باطن الامة في ظاهرها
انما السائل من لون الاناء
فخذوا المعلم على أعلامه
واطلبوا الحكمة عند الحكماء
واقراءوا تاريخكم واحتفظوا
بفصيح جاءكم من فصحاء
أنزل الله على السنهم
وحيه في اعصر الوحي الوضاء
واحكموا الارض بسطان فما
خلقت نصرتها للضعفاء
واطلبوا المجد على الارض فان
هي ضاقت فاطلبوه في السماء

اجل . دوى في الفضاء صوت هـ ذا البشير الناطق بالعض
الطري من السماء . فكبر الكيل وهلل . وهتف وصفق . وبدأ يصغى
الى الشاعر . وبدأ الشاعر ينشد البيد ، فما تالكاً ولا نكص ، ولا
فبع ولا اقعى . ولا اخطأت له مخيلة او رجعت عليه محسبة ، حتى
تذكر الناس وادركوا انه شرقي . ومن ذا يكون هوشوقي ؟

شرقي شخص فكرة لا شخص انسان ومصاصة نبرغ لاهيكل
لحم ودم لا بل نبرة شعور . ونغمة ابداع ونهبة بيان ومض خيال
من الشعر جاء للناس مند بكتاب الشوقيات ويرجع فهل ترجع
معد شوقياته ؟ كلامك كلا .

الشوقيات كتاب الدهر الخالد الذي احزرت به المكتبة
العربية فتحها الجديد في عالم الادب والجيوة المرمية التي ثم بها
ضمان ما ابتكره مخالب عوادي الحريق والغرق والسرة . والغضب
من خدوش وجروح في جبين ثقافة الاسلام وبيان العرب . كتاب
تطالع فتطالعك من كل مربع فيد ومرتع طبيعة خاسد وعصر طريف
ولمجة مستقلة وعقلية شاحضة ونفسية قائمة ونفس طويل يستهريك
ويزدهيك او يقتلك ويحييك ثم لا يزال يتدرج معك الى ان
يتقف بك على دنيا في بيت وعالم في كلية وشعور في سحر وسحر
في شعر وحكمة في عزيمة لا يلبث معها كل ذلك ان يتلاشى امامك
حتى لا يبقى لك باقيا الا عقل شوقي عاملا فيك ومؤثرا عليك
لانه شعرة وشعرة خطاب القلب للقلب وسفير النفس للنفس .
ونجوى السماء الى الارض . ولا خير في خطاب غير مبين . ولا في
نجوى غير حكيم .

ثم ماذا عساي ان اقول في الشوقيات وان اسد الشعر لرباع
في غيلها بل فردوسها المفتوح الداني القطر المربع الجناح
الرحب الباع المزهر المسارح المخضب المنادح العذق الكياف
والغياض والرباض .

ان قلت اند شعور مهزدم الديباجة مهمل الصياغة مفوف
الحياسة مهتمث الاسلوب فضفاض المعنى مشوق المبني
مرفرف الخيال ربح القافية فاني لاجده في احيان كثيرة فرق
ذالك واعلى واحلى منه واعلى لانه شعر الطبيعة الصامتة والهام
الحقيق . الناطقة . واسان البيئة الشرقية وترجان العصر الحاضر .
وحجة من حجج الاسلام على بنيه او كما قال المنطوطي فيد (شاعر
السماء والماء والغابة الفيحاء والروضة الغناء . بينما هو طائر محلق
في سماء الخيال يجمع الدنيا اليد بنظرة اذا هو سارب في مدب
السرائر ينل مكامن الرغبات ويستثير كوامن الوجدانات
فترى شعرة لوح الصبي في مكتبه وسبحه الناسك في صومعته
وزاد المسافر في وحشته وكس الشارب ودمعة الباكي ورجاء
العاشق وماساة الحزين وكان بين قلبه وبين جيع القلوب اسلاك
مكهربة فهي تخفق كخوفه وتسكن لسكونه .

وان انا قلت فيه شعور مهشم الطلعة مخضرم الصفحة
متكائد السيل منتقب المغزى منحدر المطار مشوش المبني

شموس القافية فاني وايم الله لاجده كذلك واشبه به وامثل له
واقوع عليه واقرب اليه لانه ايضا شعر شرقي وما كان اقرب شوقي
الى التمرد والثوران والتبدل والانتقال فهو الشاعر الكر الطليق
الذي ما كان يكاد يقبده الوزن او يحسده الوضع ارتقت به القافية
ولو ان شعرة من الموزون المخفى لان عاطفته لم تكن عاطفة فردية ،
ولا كنها كانت مجموع خوالج اجتماعية تؤدي رسالة الناس الى
الناس وما اكبر الوان عالمهم وءالهم واعق سرائرهم واشد
اختلاف الفكرة فيها او لاندك كما قال حافظ فيه (طريف الوزن . لطيف
القافية ، خاطرة طوع لسانه ، وبيان اسير بنانه ، كانما يتناول الشعر من
كمد لسهولة متناول عله ، الا انه مكثار ، وقل ان يسلم المكثار من
العتار . فشعرة كما قال الاصمعي في شعرابي العتابة كساحة الملوك
يتقع فيه الخزف والذهب) او كما قال فيد سطيج لصاحب (انه ارفكم
طبعاً واجلكم صنعاً ، فهو ان ركب الغزل والنسيب ، كان كانه
يسوحى اليه من قروب ، واذا اسلك سبيل المديح فقد عجز عن
وصفه سطيج ، الا انه ضيق المجال وان كان واسع الخيال ، يتقع له
المعنى الجليل في سبحات الفكر الطويل ، فيمسكه خاطره وتحرس
عليه سرائره والمعاني كالطباء كثيرة النفا ، شديدة الاحصار ، فهي ان
لم تجد من نصارة الالفاظ خيلته تسنح فيها ، او لم تظفر من عذوبتها
بعبير تنهل من نواحيها ، ذهبت عنها ان لم يضيق بها المذهب ،
وكذلك حالها في شعر صاحبكم . فهي اما نافرة ، واما حزينة
باسرة ، ولو انه منح من دقة المباني ، مانح من رقة المعاني فسلم
اسلوبه من ذلك التعقيد ، لكان شاعركم غير مدافع وواحدكم
غير منازع) .

وبعد كل هذا ، فان رأيي الخاص في شوقي . انه شاعر الطبع
كما انه شاعر الصنعة ، ولا كنه بفضل شاعريته الصنعية خاصة ،
تمكن من ان يجيء ديوانه كشكل قرائح ومعرض شاعريات وميدان
سجاي ، ومجمع فنون من البيان القديم والحديث ، فكان بذلك
على الناس مجددا في ثوب رجعي (ومن التجديد بعث القديم)
وما كان عليهم رجعياء اسنا في ملأه مجددا .

ولا احسب شرقي ، وقد استطاع ان يحشر الشعر في صعيده ،
الا انه كان يكسب اجنحة كاجنحة ديك الجن . وبصيرة كصيرة
ابي العلاء ، ومادة كادة ابن الرمي . وقلبا خفا كقلب المستبي ،
والا لما كنت اقر الشوقيات ، فاجد فيها من نسيج البحري هذا ،
وهذا من مدائح ابي تمام وذلك من خريبات ابي نواس والآخر
من تشبيهات ابن المعتز او خطرات ابن هاني وائفة الرضى وحنين
ابن زيدون ثم هذه من عكاظية امري . القيس وحوليات زهير
وهاشميات الكعبية او جعجعة طرفة وهدير التظامي وهديل الخطفى
وقعقة زوبة والعجاج وزباد وعبد الملك والكجاج افلا ينهض بعض هذا
امارة وحده على شدة تعلق الغرض عند شوقي بحشر العقول
وتشريك المادة وتلوين صبغة الشعر جريا وراء ضم وحدات اللمجة
البيانية في وحدة تامة تمكن من التجديد بجيلة الباس القديم
لبوس الجديد ؟

وانت ايها الناظر في الشوقيات ببصيرتك، انظر بها الى هذه الارواح الزكية ارواح اولائك الشعراء المساعير كيف انها تتهاافت مرفرفة على كتاب الشوقيات في اليد او الجيب ام المكتبة، ثم اليس ذلك من عنوان الحق في ما اقول؟

الحق ان روح التجديد في شوقي من جهة وهيامه الكبير بترسم خطى الاقدمين من جهة اخرى، هما الذان تقدمتا به لان يخرج الينا هذا الذي قد نحسبه خليطاً من ذهب وخزف وتبر وتراب وغث وسمين، على انه لا يسعنا الا ان نحمد بالاخص هذا الهيام الذي جعله يعتمد الى مثل سينية الى عبادة البحر في وصف ايوان كسرى تلك التي يقول فيها صاحب الفيح القسي في الفتح القدسي (انظر الى ايوان كسرى وسينية البحر في وصفه، تجدد ايوان قد خرت شفعاته، وعفرت شرفاته، وتجدد سينية البحر قد بقي بها كسرى في ديوانه اضعاف ما بقي شخصه في ايوانه) فيعارضها بتلك السينية العامة البديعة العشاء في وصف قصر الحمراء الذي كذلك قد اندرست بهجته من الارض وبقيت في الشوقية وهو نفسه الذي عشقه في معارضة دالية الحصري ابي الحسن الضرير القيرواني بداليتة الشوقية المختالة الساحرة التي جاءت غرة وضاعة في جبين الادب العصري العام، وهو ايضا الذي حدا به لان يقف موقف المؤرخ الخبير باسرار الشريعة وسير الاسلام والمنافع الذائد عنه والراد على اعدائه شبهاتهم فيه، وذلك في قصيدته الميمية الفيحاء العالية الشهيرة (نهج البردة) في معارضة بردة الشاعر البوصيري، تلك التي قدمها للخديوي السابق تذكرا لحجه سنة ١٣٢٧ واحتفل بها النقاد والكتاب والعلماء، وشرحها منهم الشيخ سليم البشري شرحا وجيزا قال في نهايته (ولو ان الكاتب عمد الى كل بيت ففسر غريبه وفصل مجمله وافشى معناه ونزل عند مغازيه، وعرض على وجوه العربية مفردة ومركبة، وارسل الاشارة الى كل ما وقع اليه من فائق البلاغة وفنون البديع وطلب القصة التي يومئ اليها فيه، ووازن بينه وبين ما يجاسه من الشعر ويسايره من الكلام وغير ذلك مما يجري في شرح الكلام ويدخل في ابواب نقده وتفسيره، لطال القصد، وتجاوز الحد).

وقالوا ان لشوقي غارات على مثل البحر في وابن الرومي والى الطيب المتنبي في سرقات عدوها عليه واشادوا بها، ونحن لا نقول كما قال هاؤلاء، ولا كننا نرفع بشوقي عن ان ينحط بشاعريته الباذخة المترفة الى خضيض الاستعانة بسرقة كلام الغير، او نعتذر عنه بما

اعتذر به شاعر العراق جميل صدقي الزهاوي حيث يقول: (قد يعلق بذهن الشاعر شطر من بيت سمعه لمتقدم فيأتي به بعد سنين في تضاعيف قصيدة له لاقتضاء المقام ذلك وهو ناس انه منقول فتقوم عليه القيامة ويرمى بالسرقة... وكثير من المعاني مشترك لا يختص به شاعر دون آخر فمن أجاد في نظمه فهو احق به من غيره وهناك حقائق علمية ونواميس طبيعية قد اكتشفها افراد من العلماء فاذا بنى شاعر شعره على بعض هذه الحقائق فمن الحيف ان يوصف بالاخذواي تريب على من يبني القول على ما قرره العلم وهل التقدم الا اتباع العلم في خطواته؟)

ولاكن برحى لك يا موت برحى ولعل لك يا احمد ومرحى هم دحرجوك من اعلى السرير الى اسفل الحفير ولحدوك في جنن الرثى وأكنوك في غيابة الاخدود، ثم أهالوا على عزيز خدك ذليل تراب الارض ونفضوا ايديهم منك ورجعوا ففعلوها هو جاء، وركبوها عشواء خابطة فما كانت أمضه حادثا واقساء.

شوقي، آه، وهل تعزيني عنك الالهات؟ انهم أصفقوا عليك جوعا، ولاكن سرعان ما تفرقوا عنك وحدانا الى الصروح الممردة والبروج المشيدة والجنود المجندة والدساكر الممددة، وخلفوك وحدك في الجذث الملحد، فهل نسوا انك بائي صروح الرفاهية العلمية ومنشيء عوالي المعلات الشعرية وناسج حبر الشرف لادب الجيل العربي الحاضر، وهل نسوا انك في سوق عكاظه صاحب الطم والرم والصادح والباغم والخيزرانة والصولجان، أم يا ترى جهلوا انك شوقي؟ وما أدراك ما انت، انت شحورور النيل ودمية قصره وفاكهة دنياه وخطيب منبره وانت وقاية التاج وشاعر العروبة.

الله اكبر، مت باشوقي، فانا لله وانا اليه راجعون، علما ببقائه واستعدادا للقاءه وتقصيا لقضائه وامتياحا لرضاه، الموت كأس مترعة كما قلت:

أرى دنيا ولا دنيا وناسا بعدهم ناس
سكارى نحن من كأس وموت هذه الكأس

فلا بد من احتسائها حتى الثمالة منها، كما انه راموز الاهي ضرب على الخلق ليمتلي من الاعتبار به، ولا كن هلالوحت وعمرضت او تفرست او أرهضت لنزاع الثبات في موقف توديعك يوم محشر رحيلك، ونصطبر عليك ماجورين احسن من ان نجزع لك مازورين

بلى لقد تظنيت بالموت فكان تظنيك حقا وترجمت بغيب
انتقالك الى جوار الله فكان ترجمك واقعا كالذي أوحيت الى حافظ
في رثائه

قد كنت أوتر ان تقول رثائي

يا منصف الموتي من الاحياء

فبينما نحن نترنم ونتنغم ونبدي ونعيد ونصغى منك الى وحي العزاء
عن حافظ وتتلو فيه بينات آي معجز أحمد، إذا بأحمد ينعاه الناعي
ويا ويحه من ذا ينعي ويا ويح من يصدق ان احمد سيسكت سكوته
الاخير فلا يعود ان يقول ولا يعود ان نسمعه.

او كالذي فعل ابو الكنانة زغلول لما قال : (انا انتهيت)
وقلتها وانتهيت مثله فأصبحت ثاني الاثنين اذ هما في الضريح وثالث
الاثافي على أمة الشرق الذي سوف يعرفك ميتا او عظ منك حيا
وصامتا أشعر منك ناطقا

كلا ثم كلا، انك ما انتهيت ولن تنهي بعد، وانما انسدل ستار
على مهزلة ليرتفع آخر عن حقيقة، ولتنطوي صفحة وتنتشر أخرى
وليكتب عنك التاريخ بدوره ما أمليته عليه انت بدورك، فالوداع
يا شوقي، وفي ذمة الخلود وعهدة اللانهاية :

عبد الاحد الكتاني

داعي الانسانية

تفصحه في الفاظ الرد ما يغني اولائك المساكين عن
طعام العشاء بمثل هذه الكلمات « الله يفتح » الله كريم
مولانا يجيب « والويل والصفع لهم اذا هم اعترضوا واحداً
من السادات الكبراء

وقد اتخذ كثير من فضلائنا دليلاً قاطعاً على عدم التأثر
والعناية بأمر المتسولين والمتسولات قضايا لا أدري كيف
تم تركيها لهؤلاء الاجلاء ليحرموا أولائك الاشقياء حتى
من اسف الآسف ودمعة الباكي من مثل انهم في العام
الفلاني وجدوا بمرقعة المسكين الفلاني كذا وكذا من
الذهب ولدى المسكين الفلاني كذا وكذا من الخبز فاني لا
أرى من مبرر لهذا النبأ أكثر من البخل والقساوة ولا
أكبر داع لقتل اولائك الابرياء من مثل هؤلاء المرجفين
فلو صح الامر على تقدير صحته فما جناية السواد
الاعظم منهم ان ادخر اثنان او ثلاثة ما ربي على حاجياتهم
من قطع الخبز وبعض دريهمات

أبت الى منزلي متأخرا وعيناي تذرف احمر العبرات
وقلبي يرجف ولساني يتلجلج ويدي ترتعدان فرقا من
تلكم المشاهد المؤثرة والمواقف المؤلمة المخزنة ؛ مواقف جماعة
البؤساء والبائسات المتشردة بصغارها تستعطف الهمم العالية
فلا تجد من يعطف عليها وتسترحم اخوانها في الدين
والنسب فلا يرحمونها ؛ ثم تستنزف آخر عبرة من مآقيها
امام هذا الجمهور المائل في كل شخص من افرادة عنوان
الشرف والمجد ومنتهى الانسانية وغاية الشفقة والرحمة
والحنان ؛ و... لو اطلعت عليهم لوليت منهم فراراً ولملئت
منهم رعباً .

ينتصب هؤلاء البؤساء للمارة السعداء آملين من
فضلهم واحسانهم وجودهم وكرمهم ان يمنوا عليهم بكسر
خبز او فتاة مائدة فلا يسمعون في الجواب عن كل ذلك
من افضل الناس واقربهم الى تلبية داعي الانسانية والتأثر
بصوت الضمير الا هذه الكلمات التي تفتنوا في عباراتها
وأبدعوا ما شاءوا كانوا هم يفهمون ان في تفتنهم ذلك وفي